

## امراة من الحطية

---

- الساعة توا كم؟

سؤال دائما ترده، في الصباح أوفي الظهيرة أو في المساء، وهي ليس وراءها ما يشغلها، ولا عمل في غاية الأهمية تريد أن تقوم به، امرأة غريبة الأطوار، لا تقرأ ولا تكتب، ولدت في زمن لا يدخل فيه الآباء بناتهم المدارس، وخاصة هي فقد عاشت يتيمة، فقدت أمها وهي طفلة تحبو، كفلها جدها.

هي امرأة ذات ذهن صافي متوقد، صفحة ناصعة البياض، تجاوزت العقد الخامس من عمرها، فوق الجلابب ترتدي الفراشية البيضاء، في زيارتها المتكررة، عند أقاربها لا تمكث سوى يوم أو يومين، أما عندنا وخاصة زوجتي فقد تربت معها، تمكث عندها بالأسابيع..

حكى لي قصتها ذات يوم قائلة:

- فقدت أمي وأنا طفلة وكذلك أبي، ترعرعت في كنف جدتي، جدي لم يدخلني المدرسة، عشت في الحطية في منتصف الستينات، حيث كنا نعرف بعضنا البعض، والطيبة والمودة تغمرنا، عشت سعيدة مع صاحباتي، أعب معهن، أدخل بيوتهن وأتغدى عندهن، تزوجت صغيرة من جندي كان يكبرني بعشر سنوات، أنجبت منه العديد من الأطفال ذكورا وبنات، تنقلت معه للجنوب سبها، وللغرب مزدة وترهونة، كنت أعاني الغربة والوحدة، تغمرني السعادة عندما نقوم بزيارة الأقارب في طبرق، أبكي بالدموع عندما يسافر بي الي الغرب، حتى استقربنا الأمر أخيرا في المرج، في كوخ ثم منزل شعبي.

كانت تلك المرأة زيارتها تتكرر لأهلها، لكنها كانت تفضل البقاء عندنا لأطول مدة، عاشت طفولتها وصباها مع زوجتي، كأنها أختها في منزل واحد، تلك المرأة كانت تحفظ كل ما يحدث أمامها، في أي بيت تزوره، تسرد الأحداث التي تقع أمامها بالتفصيل، لا تغيب عنها شاردة ولا واردة،

وهي تجهل أن للبيوت أسرارها، تحفظ غناوة العلم والشتاوي، تحب حضور المناسبات والأعراس..

بعد أن طالت غيبتها عن أسرتها، أقبل زوجها الستيني، الطويل  
القامة، يسأل عنها، حتى وصل إلينا، وبعد العشاء وشرب الشاي  
حدثني عنها قائلًا :

- هي قصتها غريبة انا لم أتشاجر معها، لكن بعد وفاة شقيقها  
في سيارته في حادث منذ عشر سنوات لم نعد ننام في فراش  
واحد، كنت أستيقظ في الصباح، وبعد تناول افطاري، أقصد عملي  
في الضمان، أعود عند الظهر لتناول الغداء، أسأل عنها بناتها :

- وبين أمكم؟

تبادرني إحداهن :

- عند جيراننا عندهم أسبوع.

بعد صلاة العصر أخرج للعب الشيزة، مع من هم في سني بجوار  
المسجد،

وأعود بعد صلاة المغرب أسأل عنها كالمعتاد تقول لي إحدى  
بناتي:

- عند جيراننا عندهم عرس لبنتهم..

وتأتي مع الليل، لا تفوتها مناسبة في الحي، فهي لا تحب البقاء  
في البيت على الإطلاق..

عندنا في المنزل كانت تصحو قبل السابعة، تدب في الردهة  
والممرات كالسحفاة، وعندما تصادفني تحيني بتحية الصباح و  
تبادرني :

- الساعة كم توا.